كتاب
نَشوَةُ السّكران من صَهْباءِ تَذْكَارِ الغِزْلاَنِ
للعلامة الأمير صدّيق حَسن خان

(دراسة تحليلية نقدية)

الدكتور
سعد الله المحمدي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب:

نَشوَةُ السّكران من صَهْباءِ تَذْكَارِ الغِزْلاَنِ

للعلامة الأمير صدّيق حَسن خان

(دراسة تحليلية نقدية)

د. سعد الله المحمدي

مملكة البحرين

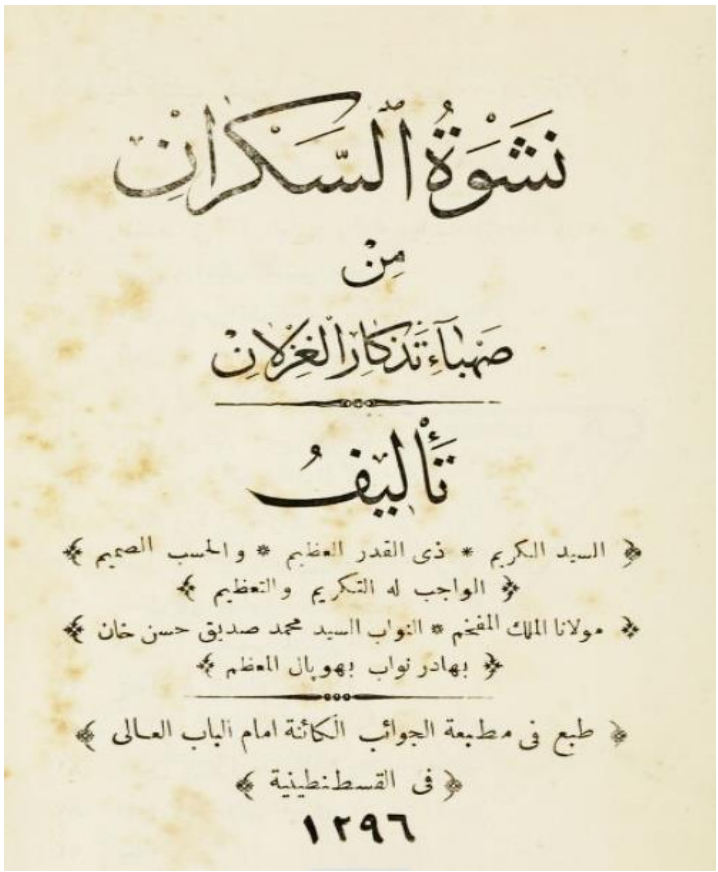
نشوة السكران
من
صهباء تذكار الغزلان
تأليف
السيد الكريم * ذى القدر العظيم * والحسب الصميم
الواجب له التكريم والتعظيم
مولانا الملك المفخم * النواب السيد محمد صديق حسن خان
بهادر نواب بهوپال المعظم
طبع فى مطبعة الجوائب الكائنة امام الباب العالى
فى القسطنطينية
١٢٩٦

كتاب:

نَشوَةُ السّكران من صَهْباءِ تَذْكَارِ الغِزْلاَنِ

للعلامة الأمير صدّيق حَسن خان

(دراسة تحليلية نقدية)

كانَ الأمير صديق حسن خان من الأئمّة الأعلام[1] الذين جَمَعُوا بين رئاستي العِلم والحُكم في إمارة بُهوبَال[2]، فَحازَ لقبَ "النّوَاب والاه جَاه"[3] الذي كانَ من أكبر الألقاب الحكوميّة والأوسمة الرئاسيّة التي تلّقب بها الأميرُ المسلم في الهند زمن الاستعمار البريطاني[4]. كما حازَ شرفَ العلم والتأليف والتصنيف، فخلّف وراءه كُتبا ومؤلفات في مختلف العلوم والفنون.

---

(1) مصادر ترجمة الأمير صديق حسن خان: ترجم الأمير لنفسه في عددٍ من أواخر مؤلفاته، وترجمَ له أناس كثيرون غيره؛ حيث نجد ترجمته في: تاريخ آداب اللغة، جرجي زيدان، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، ج ٤ ص٦٠٢، و معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إليان سركيس، الناشر: مطبعة سركيس ١٣٤٦هـ ج٢ ص١٢٠١ ـ ١٢٠٦، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ج١ ص٣٦٢ ـ ٣٦٣ وج ٢ ص١٠٥٥ ـ ١٠٥٨.

(2) بهوبال: إمارة إسلامية ازدهرت في وسط الهند، أسّسها الأمير دوست محمد خان بن نور محمد خان–الذي انحدر من قبيلة مِيرازِي خيل الأفغانية الساكنة في بلدة (تيراه) التي تقع اليوم على الحدود الأفغانية الباكستانية– سنة ١٧٠٩م حين استقلّ بها بعد وفاة أورنكزيب، واستيلاء البريطانيين على شبه القارة الهندية، وقد توالت ذريته من الرجال والنساء وعددهم اثنا عشر أميرا وأميرة على حكم البهوبال، حتى انضمت إلى الحكومة الهندية سنة ١٩٤٩م بعد الاستقلال، انظر: دائرة المعارف، بطرس البستاني، الناشر: مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٨١م، ج٥ ص٦٤٩. وكذا: طلائع المقدور من مطالع الدهور، أبو النصر سيد علي خان، الناشر: المطبعة الكائنة في بهوبال ١٣٠١هـ ص١٤٠ ـ ١٤١، وكذا: الهند في العصر الإسلامي، العلامة عبدالحي بن فخر الدين الحسني، الناشر: دار عرفات، الهند، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ص: ٢٥٨، وكذا: مذكرات رحلة حجّ لأميرة بوبال النواب سكندر بيغم (وثيقة تاريخية مهمة)، د.ثمامة فيصل أبي المكارم، الناشر: شبكة الألوكة، الرياض، ٢٠١٥م، ص: ٢–٣.

(3) طلائع المقدور من مطالع الدهور، ص١٤١.

(4) الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، الناشر: مطبعة وديع أبو فاضل، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٣٣م، ص٧.

وكانَ لنثر الأمير[5] في اللغة العربية حلاوةً وذوقا، وتأثيرا على السمع، وخصائص أسلوبية تميّزُه عن غيره، وتمثّل موهبته الأدبيّة والعلميّة؛ حيث نرى ذلك جليّا في كُتبه، وخُطبه، ورسائله المشتملة على الروائع الأدبية الكثيرة[6]

وهذا البحثُ دراسةٌ نقديّة تحليليّة لكتابِ نَشوَة السّكران من صَهْباءِ تَذْكَارِ الغِزْلاَنِ[7] للأمير صديق حسن خان بالنظر في موضوعات الكتاب ومصادره، وأبوابه وفصوله، وتحليل مضامينه، واستقصاء شواهده، للوصول – إن شاء الله تعالى– إلى رسم معالم نثر الأمير بالعربية واكتشاف معالمه وقسمات وجهه، وخصائص كتابته وتعبيره، وإبراز مكانته ومقدرته اللغوية والتعبيرية وعلوّكعبه وشأنه في هذا المجال.

أوّلا: مدخل إلى كتاب نَشوَةُ السّكران من صَهْباءِ تَذْكَارِ الغِزْلاَنِ

موضُوعُ الكِتاب، وَمَصَادِرُه.

موضوعه العِشْقُ والعَشِيقَاتُ والعُشّاقُ، فيتحدّث عن العشق وأسبابه ومراتبه وما يتعلّق به من ذِكر الحُسن والجَمال، ويتناولُ الحديث عن العشيقات وأقسام النسوان باعتبار الصلاح والفساد، ويتطرّق لذكرهنّ باعتبار السنّ والعُمر وغيره من التّقسيمات، ويذكرُ العُشّاق، وأقسامهم، وأحوالهم، ويتمثّل لبيَان حالهم ببيتٍ أو بيتين من أجمل الأبيات الشعرية، ولا يخلو الكتابُ من مادةٍ أدبيّة لطيفة، لها تعلّقٌ شديدٌ بموضوع العشق والحُبّ.

نماذج من آثار السابقين في هذا الموضوع:

---

(5) النّثْر في اللغة رمي الشيء مُتَفرّقًا، وعكسُه النّظْم فهو الضَمُّ والتأليف، ومن ذلك قال الأدباء: كلام مَنْثور إذا كانَ لا يُقَيّده وزنٌ وقافية، وكلامٌ مَوْزُون مقفّى، والنّظمُ والنثر في معناها الأدبي مولدان ظهرا مع علم الأدب، والنثرُ خلاف الشعر يغلب فيه التفكير الصحيح على الخيال المطلق، أنظر: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، الناشر: دار الجيل، بيروت، د.ت.، ج١ ص٢٥٣.

(6) انظر على سبيل المثال: الرسائل المتبادلة بين الشيخين صديق حسن خان وأحمد بن عيسى، سليمان بن صالح الخراشي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، الناشر: دار التوحيد، الرياض.

(7) طبع في بهوبال سنة ١٢٩٤هـ، وفي الجوائب سنة ١٢٩٦هـ، و في مطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٣٨هـ، وطبع في دار ابن حزم بيروت سنة ١٤١٩هـ، وقد مدحه كثير من الشعراء في منظوماتهم ومن هذا القبيل:

حَيّ النّدِيمَ بِنَشْوَةِ السَّكْرَانِ*واطْرَحَ مُنَاولَةَ السُّلاف القَانِيْ

لي عَنْهُ شُغْلٌ كلّمَا هَبّتْ صَبَا* تشْجي فُؤادَ المُغْرَم الولهَانِ

أنظر: قُرّة الأعيان ومسرة الأذهان في مآثر الملك الجليل النواب محمد صديق حسن خان، سليم فارس الشدياق، الناشر: مطبعة الجوائب بقسطنطينية، ١٢٨٩هـ، ص١١٨.

إذا ألقينا نظرةً سريعةً على الكُتب التي ألّفت في الحُبّ والغرام، وجدنا قائمة طويلة من ذخائر تراثية ومجاميع أدبية تتحدّث عن الموضوع، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ طوق الحمامة في الألفة والأُلاّف، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري[8].

٢ ـ مصَارِعُ العشّاق، لجعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي[9].

٣ ـ الواضح المبين في من مَاتَ من المحبّين، لمغلطاي بن قليج البكجري[10].

٤ ـ أَشْواقُ العُشَّاق من مصارع العشاق، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط الشهير بالبقاعي[11].

مصادر كتاب نشوة السكران:

أشارَ الأمير في مقدمة كتابه إلى المصادر التي استفاد منها في جمع المادة[12] وهي:

---

[8] هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، كان من صدور الباحثين وأحد حفظة الحديث والعلماء الزاهدين في الدنيا، توفي سنة ٤٥٦ تاركًا وراءه كثيرًا من المؤلفات. انظر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتب اللبناني، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ج٢ ص٤٨٩ ـ ٤٩٣. و التاج المكلل، الأمير صديق حسن خان ، الناشر: مكتبة دار السلام الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ص٧٨ ـ ٨٣.

[9] هو: جعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادي ولد ببغداد سنة ٤١٧هـ، كان حافظ عصره وعلامة زمانه، عالي الطبقة في الحديث والقراءة والنحو والعروض، وتوفي ببغداد سنة ٥٠٠هـ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق: د. إحسان عباس، منشورات الرضي، الطبعة الثانية، ١٣٦٤هـ، ج١ ص٣٥٧ ـ ٣٥٨، وكذا: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ج١ ص٤٨٥.

[10] هو: أبو عبد الله علاء الدين مغلطاي بن قليج البكجري، تركي الأصل، مستعرب، عالم بالأنساب وهو أحد المؤرخين ومن حفظة الحديث الشريف، له أكثر من مائة مصَنّف، توفي سنة ٧٦٢هـ. انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغربردي الأتابكي، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٩هـ، ج١١ ص٩، وكذا: معجم المطبوعات، ج٢ ص١٧٦٨.

[11] هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط الخرباوي الشافعي، أصله من البقاع في سورية ولد سنة ٨٠٩هـ، كاتب وشاعر، رحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق ٨٨٥هـ. انظر: معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، الناشر: المكتبة العربية بدمشق ١٣٠٧هـ، ج١ ص٧١.

[12] نشوة السكران من تذكار صهباء الغزلان، الأمير صديق حسن خان، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.ص٣٥.

١ ـ ديوان الصبابة، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر الشهير بابن أبي حجلة[13].

٢ ـ تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، لداود بن عمر الأنطاكي[14].

٣ ـ سبحة المرجان في آثار هندوستان، للسيد غلام علي آزاد البلكرامي[15].

وأريد أن أخصّ مصادر الكتاب بشيءٍ من التفصيل، للوصول إلى تقييمه الصحيح وتحديد منزلته بين الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، فمن مصادره:

ا: ديوان الصبابة:

سبب تأليفه:

يقول ابن أبي حجلة (مؤلف كتاب ديوان الصبابة) في سبب تأليفه للكتاب: إنّه شاهد جماعة من أهل عصره بالغوا في التأليف في باب الصبابة حتى فاقوا المتقدّمين فيه، ولكن غالبهم لم يفرّقوا في التشبيب بين زينب والرُّباب، وهذا ما دعاهُ إلى التأليف، ومعَ أنّ المتقدّمين لهم فضلُ التّقدم ولكن "في الخمْرِ معنًى ليْسَ في العنب، وأحسنُ ما في الطاووس الذَّنب"[16]. وكأنّه في هذه الفقرة يُعلّل سبب تأليفه للكتاب، ويرى أنّه لايختصّ بعصرٍ دون آخر، ولا يرثُه شخص

---

(13) هو: أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني، ولد سنة ٧٢٥هـ، وهو أحد الشعراء وممن لهم دراية بالأدب، له أكثر من ثمانين مصنفًا منها كتاب "غرائب العجائب وعجائب الغرائب" توفي سنة ٧٧٦هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، بتحقيق: محمد جاد الحق، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ، ج١ ص٣٥٠ ـ ٣٥٢.

(14) هو: داود بن عمر الأنطاكي، ولد في أنطاكية، وحفظ القرآن الكريم، كان عالمًا بالطب والأدب قوي البديهة، رحل إلى مكة وتوفي بها سنة ١٠٠٨هـ ، من مؤلفاته تزيين الأسواق في الأدب. انظر: كشف الظنون ج١ ص٣٨٦، والأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، ١٩٨٥م. ج٣ ص٩.

(15) هو: غلام علي آزاد بن السيد نوح الحسيني الملقّب بحسان الهند، من أعيان الأدباء وفضلاء المؤرخين، ولد في بلكرام سنة ١١١٦هـ، ونزل بأورنك آباد، وتوفي بها سنة ١١٩٤هـ ولم يظهر بالهند من له ديوان شعر عربي مثله. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، ج٦ ص٢٠٣ ـ ٢٠٧، وأبجد العلوم، الأمير صديق حسن خان، الناشر: المكتبة القدوسية لاهور باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ج ٣ ص: ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

(16) ديوان الصبابة، أحمد بن أبي حجلة المغربي، طبع على هامش تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق لداود بن عمر الأنطاكي، الناشر: المطبعة الأزهرية المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٠٨هـ، ص٣.

عن كابر بل "إنّ حُسْنَ التأليف مواهبُ وإنّ لِلنّاسِ فيْمَا يَعْشِقُونَ مذاهبُ، ومعلومٌ أن الجُنون فنون، وكلُّ حِزْبٍ بما لديهم فرحون"[17].

منهج المؤلف فيه:

سلكَ المؤلّف في كتابه مسْلك الاختصار، والاقتصار على النوادر القصار، مستندًا إلى قول يحيى بن خالد البرمكي لولده: "اكتبوا أحْسَنَ ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وحدّثُوا بأحسن ما تحفظون، وخذُوا من كلِّ شيءٍ طرفًا، فإنه من جهل شيئًا عاداه"[18].

ترتيبه:

رتّب المؤلف كتابه على مقدمة وثلاثين بابًا وخاتمة.

ب: تزيين الأسواق من مصارع العشاق:

المصدر الثاني من مصادر (نشوة السكران) هو كتاب: تزيين الأسواق من مصارع العشاق، لأبي الحسن إبراهيم بن حسن بن عمر الرُّباط الشهير بالبقاعي المأخوذ من "مصارع العشاق" لأبي بكر محمد بن جعفر البغدادي السّراج.

سبب تأليفه:

يذكر البقاعي على أنه عزمَ على اختصار كتاب مصارع العُشاق في مصر بعدَ أن هاجَر إليهَا ومثّل بين يديّ الأماثل وخدَم مَنْ سَما فيها مِن أربابِ الفضائل، وامتطى غاربَ الأدبِ بجَمعِ مَحَاسنِه، وتحرير أخبار الحُكماءِ، ولطائف الأطبّاءِ، تنشيطًا لخاطره في الغُربة، وتفريجًا لكربه في الهجرة.

تلخيص عَمَلِ المؤلف فيه:

يتلخّصُ عمل البقاعي في هذا المختصر فيما يلي:

تبديلُ بعض الفقرات، والتّعليق على أخرى، وتقسيم الأبواب، وضمّ الأنواع المتماثلة، وحذفُ الأسانيد والتكرار، وبيان أسباب وقوع بعض العُشاق في شَرَكِ الحُبّ، وشرح غريب الأشعار

---

[17] ديوان الصبابة، ص٤.

[18] ديوان الصبابة، ص٨.

والألفاظ، وعمل الزّيادات المناسبة، إضافة إلى حسن التقسيم ولطف الترتيب [19] حتّى أصبحَ جامعًا لكثيرٍ من النّكت والعجائب واللطائف والغرائب.

ترتيبه:

الكتابُ مشتملٌ على مقدّمة وخمسة أبواب وخاتمة.

منهج المؤلف فيه:

التزم البقاعي في كتابه الطريقة الآتية:

١ ـ افتتحَ كلّ فصل بما تيسّر له من كلام ابن الفارض حسبَ ما أجادَ به ذهنه.

٢ ـ اختتمَ كلّ فصل بما سمحت به قريحته وفِكره من لطائف النّظم المناسب للمقام.

٣ ـ أوردَ بعد الفصول تتمّة في لطائف الغزل الخاص والعام، واشتَملت على مقاطع فائقة وأبيات رائعة في الغزل والنّسيب ومحاسن الحبيب التي تهيّجُ الأشواق المستقرّة بذكر الشّعر والطُرّة [20].

٤ ـ لم يلتزم في الخاتمة بذكر اللطائف المختصّة بالموضوع بل أورد فيها النّكت المتفرقة.

رأي الأمير صديق حسن خان في الكتابين المذكورين:

يذكر الأمير هذين الكتابين بألفاظ التبجيل والتوقير ويرى: "أنّهما كتابان نفيسان في أحوال العشق، والعُشّاق، والمعاشيق، وأقسامها وأنواعها، وكأنّهما فتاوى هذا الفَنّ، وقد منَّ الله عليَّ بهما ووقفتُ عليهما، واستفدتُ منهما في هذه المقالة ما رأيتُه أحرى بالأخذ على سبيل الاختصار فإنّ الطبع اللطيفَ يملُّ من الإكثار"[21].

ج: سُبْحَةُ المرْجان في آثار هندوستان:

المصدر الثالث من مصادر (نشوة السكران) هو كتاب: سبحة المرجان في آثار هندوستان، للسيد غلام علي أزاد البلكرامي.

ترتيبه:

الكتاب مرتّبٌ على أربعة فصولٍ، وفقًا لفصول السّنَة، ويحتوي على مباحث شتّى متعلّقة بالهند، من ذِكرها في التفسير والحديث، كما يشتملُ على تراجم علماء الهند الذين لهم باقياتٌ صالحات

---

[19] تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، الشيخ داود الأنطاكي المعروف بالأكمه، الناشر: المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٠٨هـ ص٣ ـ ٤.

[20] تزيين الأسواق، ص٢٢٠.

[21] نشوة السكران، ص١٠٧.

من التّصانيف الرائقة، والأشعار الفائقة، وخاصّة الذين وصلت آثارهم إليه، وفي الكتاب من البدائع والصناعات الأدبية التي اقتبسها أزاد من الهندية ونقلها إلى العربية، ومقارنةٌ بين المحسّنات التي استعملها الهنودُ والعرب، وذكرٌ لفنّ عجيبِ الأسلوب، آخذٍ بمجامع القلوب، وهو فنّ أسرار النّسوان الذي ضلَع عليه خلعة التعريب وأهدى إلى أدباء العَرَبِ نوعًا جديدًا من النّسيب[22].

سبب تأليفه:

يتحدث أزاد في مقدمة كتابه "سبحة المرجان" عن فناء الإنسان ودثاره، وانهدام بنيانه وآثاره إلا ما تركه من نفائس الأنفاس التي تشحذُ الطّبائع وتزّينُ المسامع، فإنّها مصونة عن حوادث الزمان ونوائبه، ومأمونةٌ عن طوارق الحدثان، وذلك ما أدّى به إلى جمع هذه المطالب العظمى والمآرب الكبرى.

مكانة الكتاب:

سبحة المرجان أثرٌ علمي وأدبيٌّ، وكتاب تاريخي جميلٌ لأحد عمالقة الأدب العربي في شبه القارة الهندية، ويُعتبر من أوائل الكُتب التي اهتمّت بالهند ومدحها، وبتراجم أعلامها، وعلومها باللغة العربية، وهو مصدرٌ أساسي لعددٍ كثير من المؤلفين الذين تطرّقوا للمواضيع التي ذكرها أزاد في سبحته.

رأي الأمير صديق حسن خان في الكتاب المذكور:

لقد أكثر الأمير صديق حسن خان من الإشادة والثناء على الكتاب المذكور، ونقل منه، واستشهد به في مؤلفاته، ممّا يدلّ على منزلته ومكانته عنده.

مصادر أخرى لكتاب نشوة السكران:

وهناك مصادر أخرى جاء ذكرها في ثنايا كتاب "نشوة السكران" وهي كما يلي:

١ ـ "إحياء علوم الدين" لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ).

٢ ـ "أسرار التنزيل وأنوار التأويل" لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت٦٠٦هـ).

---

[22] سبحةُ المرجان في آثار هندوستان، السيد غلام علي أزاد البلكرامي، تحقيق: الدكتور محمّد فضلُ الرّحمن الندوي، الناشر: معهد الدراسات الإسلامية بجامعة عليكره الإسلامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م، ج١، ص٣.

٣ . "امتزاج الأرواح" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي (ت٣٩٠هـ).

٤ . "بسطان السلطان" لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر ابن عبد الواحد الشهير بابن أبي حجلة(ت ٧٧٦هـ)

٥ . "تحفة الظراف" للقاضي محمد بن أحمد بن سليمان النوقاني (ت٣٨٢هـ).

٦ . "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي (ت٥٤٢هـ).

٧ . "روضة المحبين" لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ).

٨ . "الشمائل المحمدية" لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ).

٩ . "طوق الحمامة في الألفة والأُلاّفِ" لابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ).

١٠ . "غريب القرآن" المسمى "بهجة الأريب لما في الكتاب العزيز من الغريب" لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني العزيزي (ت٣٣٠هـ).

١١ . كتاب "النِّساءُ الشَّوَاعِر" لأبي الفرج محمد بن محمد بن سهل الشلحي العكبري (ت٤٢١هـ).

١٢ . "الوشاح في فوائد النكاح" لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ).

١٣ . بعض كتب اللغة مثل "الصحاح" للجوهري (ت393هـ)[23].

* * *

ثانيا: دراسة تحليلية لكتاب نشوة السكران

وبعد هذا العرض لمصادر "نشوة السكران" أريدُ أن أقوم بتحليل الكتاب ودراسته النقدية، واستعياب مفاهيمه، وربط مضانينه بعضها بالبعض، محاولا الوصول إلى فهم نفسيّة الأمير في الكتاب، والنتائج المرجوة إن شاء الله.

ترتيب الكتاب:

يشتملُ الكتاب على مقدّمة، وفصلين، وأحدَ عشرَ مبحثًا، وخاتمة.

---

[23] استفدت في هذا الترتيب من مقدمة نشوة السكران، بقلم المحقق بسّام عبد الوهاب الجابي، ص٣١ . ٣٣.

أمّا المقدمة فهي: " في ذكر العشق واسمه وما جاء في حدّه ورسمه". وقد قام الأمير بتلخيصها من الفصل الأوّل من مقدمة ديوان الصبابة[24]، كما استفادَ في جمع مادتها من مقدمة تزيين الأسواق[25].

ويتلو المقدمة مباحث:

الأول: "في أسْبابِ العِشْقِ وعلاماته" ولخَّصَهُ الأمير من الفصل الثاني في مقدمة ديوان الصبابة[26].

الثاني: "في مَراتِبِ العِشْقِ وأسْمائه وصفاته" ولخَّصَهُ من الفصل الثالث في مقدمة ديوان الصبابة[27].

الثالث: "في مَدْح العشق وذَمِّه وترياقه وسُمّه" ولخّصَهُ من الفصل الرابع في مقدمة ديوان الصبابة[28].

الرابع: "في أن العِشْقَ اضْطِرَارِيٌّ أو اختياري" ولخَّصَهُ من الفصل الخامس في مقدمة ديوان الصبابة[29].

الخامس: "في ذكر الحُسن والجَمال" ولخّصه عن الباب الأول في ديوان الصبابة[30].

السادس: "في ذِكر الغِزلان"وهو تلخيصٌ للمقالة الأولى بالفصل الرابع من سبحة المرجان[31] وأورد فيه بعض المواد من الباب الثالث من تزيين الأسواق[32].

السابع: "في قسْمةِ العِشْقِ ومُخَاطَبَاتِهِ" ولخّصه كذلك من المقالة الأولى في "بيان الغزلان" من الفصل الرابع في "بيان العشق والمعشوقات" من كتاب سبحة المرجان[33].

---

(24) ديوان الصبابة، ص١٠ . ١٣.

(25) تزيين الأسواق، ص: ٦-٩.

(26) ديوان الصبابة، ص١٣ . ١٨

(27) ديوان الصبابة، ص١٨ . ٢٣

(28) ديوان الصبابة، ص٢٣ . ٢٨

(29) ديوان الصبابة، ص28 . 33

(30) ديوان الصبابة، ص٣٣ . ٤١

(31) سبحة المرجان، ج٢، ص٣٢٣ . ٣٢٧.

(32) تزيين الأسواق، ص١٥٨ . ١٧٣.

(33) سبحة المرجان، ج٢، ص٣٢٧ . ٣٣٨.

وأوردَ الأمير في هذا المبحث إضافة إلى الأبيات الشعرية الكثيرة، قصيدة له، مطلعها:

يَا غادةً فتَنَتنِي أيْنَ مَغْنَاكِ* وحَيْثُمَا أَنْتِ عَيْنُ اللَّهِ تَرْعَاكِ

أَضْنَيْتِنِي فَفُؤادِيْ بَاتَ مُحْتَضِرًا* فَهَلْ تُدَاوِينِ مُضْنًى مِنْ مُحَيّاكِ

إلى آخر ما قال[34].

الثامن: "في أقسام النِّسْوان وجلْوة عدّة من سرب الغِزْلان":

ولخّصه كذلك من المقالة الأولى للفصل الرابع من سبحة المرجان[35].

التاسع: "في التّقسيم باعتبار السِنّ" وهو ملخّصٌ كذلك للمقالة الأولى من الفصل الرابع إلى نهاية المقالة[36].

ويأتي بعد هذه المباحث:

الفصل الأول: وهو "في أقسام الغزلان التي هي من مستخرجات أزاد رحمه الله" وهو ملخص للمقالة الثانية بتمامها التي وردت بنفس العنوان في الفصل الرابع من "سبحة المرجان"[37]

ويأتي بعد هذا الفصل مبحثان:

الأول: "في أقْسَام العُشّاقِ غفَرَ الله لنا ولهم"، وهو ملخّص للمقالة الرابعة بتمامها بعنوان "أقسام العشاق" في الفصل الرابع من سبحة المرجان[38].

الثاني: "في ذكر من كلّف وهو غيرُ مُكلّف"، وأوّلُه تلخيص للنوع الثاني "من كلّف وهو غير مكلّف" من الباب الرابع "في ذكر ما سوى البشر وما لقوا من العبر" في تزيين الأسواق[39].

وبقية مواده منتقاة من الباب الخامس "في تتمّات يفتقر إليها الناظر"وبالتحديد من الفصول الثلاثة الآتية من كتاب تزيين الأسواق:

* فصلٌ في تحقيق معنى الحُسْنِ والجَمَال، وما استلطف في ذلك من الأقوال[40].

---

(34) نشوة السكران، ص٧٩، وانظر القصيدة بتمامها في: نفح الطيب من ذكر المنزل والحبيب، الأمير صديق حسن خان، الناشر: المطبع الشاه جهاني، بهوبال، د.ت. ص٦٥ ـ ٦٦.

(35) سبحة المرجان، ج: ٢ ص: ٣٣٨ـ ٣٤٨.

(36) سبحة المرجان، ج: ٢ ص: ٣٤٨ ـ ٣٨٧.

(37) سبحة المرجان، ج: ٢ ص: ٣٩٠ ـ ٤٠٨.

(38) سبحة المرجان، ج: ٢ ص: ٤٢٠ ـ ٥٣٢.

(39) تزيين الأسواق، ص: ١٨٢ ـ ١٨٦.

(40) تزيين الأسواق، ص: ١٨٦ ـ ١٨٧.

* فصلٌ في أحكام أسرار المحبّة، وما فيها من اختلاف آراء الأحبة[41].

* فصلٌ في ذكر الاحتيال على طيْفِ الخَيَالِ[42].

ويأتي بعد المبحثين السابقين:

الفصل الثاني: في أحوال العشاق:

وقد اختصره من الباب الخامس في "تزيين الأسواق" وبالتحديد من الفصول الآتية:

فصل في أحكام الليل والنهار[43]، فصل في أحكام الزيارة وما جاء في فضلها من البراعة والعبارة[44]، فصل ومما يلحق بالعتاب ويصلح أن يكون معه في باب[45].

الخَاتِمَةُ: ولخّص الأمير فيها تتمة كتاب تزيين الأسواق بعنوان "تتمة تشمل على ذكر مقاطع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها إلى الأصول السابقة"[46].

وأوردَ فيها قصيدة أزاد (مرآة الجَمَال) التي وصف بها أعضَاء العَشِيقة من الرأس إلى القدم، وما يتعلق بها من التبسم والكحل، والخلخال واللباس بحيث خصّص فيها لكلّ عضوٍ بيتين[47].

يقول الأمير:"وقد رأيتُ أن أختم هذه الخاتمة بذكر تلك القصيدة الحسنى ليكون مسك ختام الكلام في الاحتفال بهذا المرام، وأجعلها بدلًا من أشعار كثيرة من الأدباء المتفرقين من بحور

---

(41) تزيين الأسواق، ص: ١٩٣.

(42) تزيين الأسواق، ص: ١٩٧ . ١٩٩.

(43) تزيين الأسواق، ص: ٢٠٠ . ٢٠١.

(44) تزيين الأسواق، ص: ٢٠٤ . ٢٠٩.

(45) تزيين الأسواق، ص: ٢٠٩ . ٢١٩.

(46) تزيين الأسواق، ص: ٢٢٠ . ٢٢٨.

(47) يقول أزاد في وصف الضفيرة:

أضفيرَتانِ على بياضِ خُدودِها*أو في كتابِ الحُسنِ سِلسلتانِ

أو ليْلتَا العِيدَينِ أقبَلتـا معًا*أو مِن قَصَائدهم معلّقَتانِ

وقال في وصف الجبهة:

لله جبهتُها المضيئةُ في الدُّجى* وهبَ الإلهُ لهَا عُلُوّ مكانِ

هي نصفُ بدرٍ كاملٍ لكنّها* تربو على القَمرينِ في اللّمعانِ

أنظر، نشوة السكران، نسخة الجوئب ١٢٩٦هـ ص: ٩٧ وما بعدها.

وقواف مختلفة في الانسجام"[48] ثم ذكر ترجمته لنفسه، وأوردَ غزلًا نظّمه في بعض أيام الشباب ومطلعه:

لِلَّهِ غَانِيَةٌ فِيْ مُهْجَتِيْ نَزَلَتْ* مَالَتْ إِلَىَ الوَصْلِ شَوْقًا ثُمَّ مَا وَصَلَتْ

طَحَتْ بِقَلْبِيْ وَضَامَتْنِيْ بِلاَ سَبَبٍ* يَا أَيّهَا القَوْمُ قُوْلُوْا كَيْفَ مَا فَعَلَتْ[49]

إلى آخر ما قال.

شخصية الأمير في كتاب نشوة السكران:

شخصية الأمير في كتابه نشوة السكران، شخصيّة أَديْبٍ وناقد؛ إذ لايكتفي بالانتقاء والاختيار، والجمع والاختصار، والترتيب والتنسيق فقط، بل ينتقي أجود الكلام، وصفوَة الصفوة، ولُبّ اللباب، ويُحلّلُ ويَنْقُد ويأخذُ ويردّ، حتّى أتى فيه "بأشياء ممّا يزري بأريج الريحان"[50].

ومن أمثلة ذلك مقارنتهُ الذّوقَ الهندي بالذّوقِ العَربي في الأشعار المشتملة على ذكر النّسوان؛ حيث مَهّدَ لكلامه بإشارةٍ خفيفةٍ إلى أنّ الشاعر غلام علي أزاد سمّى كلّ قسم من أقسام النسوان بتعريفٍ جامعٍ مانعٍ وأثبت أمثلة تَقُرُّ بها عيونُ الأدباء، وأقوالًا تهتزّ بها قرائح الظرفاء[51].

وبعد التنويه والثناء على مخترعات أزاد والمعاني الواردة في أمثلته يُتْحفنا الأمير برأي نقدي في مقارنته الذوق الهندي بالذوق العربي في الأشعار المشتملة على أقسام النسوان قائلًا: "ومن قُدرة الله أنّ الحَلاوة التي للأذواقِ من الأشعار المشتملة على أقسام النّسوان في لسان الهند لا تحصلُ في لسان العرب، وما منشأه إلا خصوصيّة اللسان، وظاهرٌ أنّ نقل الخصوصيّة عن لسانٍ إلى لسان خارجٌ عن الطاقة البشرية، إنّما الطّاقة بيانُ القواعد العلميّة"[52].

---

(48) نشوة السكران، ص: ١٤٩.

(49) نشوة السكران، ص: ١٠٥ ـ ١٠٦. ومعنى طحت بقلبي: أي بَعُدت.

(50) نشوة السكران، ص: ٣٥.

(51) نشوة السكران، ص: ٨١.

(52) نشوة السكران، ص: ٨١.

فهو وإن سبقه إلى مثل هذا الرأي الشاعر أزاد بقوله: "وقد يُوجَدُ شَيءٌ من أقسام النسوان من مستخرجات العرَبِ لكنّهُمْ ما بلغُوهُ مَبْلغ الأَهَانِدِ"[53].

إلا أنه لم يعلّل لكلامه ذلك التعليل، وجاءَ الأمير وذكر أنّ سبب هذا الذوق، خصوصيّة اللسان الهندي وخصوبة معانيه في مجال النسوان بحيث اختصّ شعراؤه لكلّ قِسمٍ من أقسام النسوان أشعارًا فائقة ومضَامين رائقة.

وإن مثل هذا الحكم والتعليل لا يمكنُ أن يصدر عن شخصيّة الأمير مع ثقله الأدبي ومكانته العالية في العلوم العربية وشغفه بها، إلا بعد إقناعٍ تامٍّ منه بما للأهاند من تفنّنٍ ورهافة حسٍّ وبيان رائع وفَنٍّ فائق في أحوال النساء وأخلاقهن وعاداتهن وما يُحَبّ ويُكْرَهُ منْهنّ.

مَنْهَجُهُ فِي النّقْلِ:

نقل الأمير من الكتب الثلاثة نقلًا أمينًا بحيث يُحيل إلى المصدر عند بداية الكلام حينًا، ويحيلُ إليه في نهايته حينًا آخر، ومن أمثلته، ما ذكره في مبحث "أقسام العشاق" حيث يقول: "والآن أبيّن ما ذكرهُ أزاد من أقسام العُشّاق، وأهدي لذّةً جديدةً إلى الأذواق"[54].

فيلخّص أقسام العُشّاق من سبحة المرجان"[55] ويذكر المستفرد وهو الذي لا ينكح إلا زوجة واحدة، ولا يلتفت إلا إليها، والمستكثر وهو الذي ينكح أزواجًا متعددة، والعفيف وهو الذي يعشق ولا يفتح على نفسه باب الفسق إن ظفر، ويستدل ببعض الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، ويكثرُ من إيراد الشواهد والأمثلة من كلام كبار الشعراء ويستشهد ببعض الحكايات والقصص أيضًا[56].

ثم يذكر بقية أقسام العُشّاقِ من الطارق في الليل المظلم، والمعتمر، و الفاطن قولًا وفعلًا، والواصل، والمهجور، والمودّع وغير ذلك مما ذكره أزاد بشكل مفصّل، ولخّصه الأمير تلخيصًا رائعًا محببًا إلى النفس البشرية، بحيث يستطيعُ القارئ النّابه أن يحفظ التقاسيم والأمثلة التي أوردها لتثبيت الأفكار بسهُولةٍ ويُسر.

---

(53) سبحة المرجان، ج: ٢ ص:٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(54) نشوة السكران، ص: ١٠٧.

(55) سبحة المرجان، ج: ٢ ص:٤٢٠ ـ ٥٣٢.

(56) نشوة السكران، ص: ١٠٧ ـ ١٠٩.

ويقول في نهاية هذا المبحث:"وهذا آخر ما رَامَ أزاد رحمه الله إيراده في سبحة المرجان"[57] ممّا يدلّ على دقّة الأمير في النّقل.

ومن الأمثلة التي تدلّ على أمانته العلميّة نسبةُ الأقوال إلى قائليها مع الإحالة على المصادر: قولُه: "قال في تزيين الأسواق: العشق يختلف باختلاف المزاج" [58].

وقوله: "أوردَ داود بن عمر الأنطاكي أشعارًا كثيرة لشعراء كثيرين في وصف أعضاء المعشوقة متفرقة"[59].

وقوله: "وقد قال أزاد رحمه الله: "لقد شرعتُ في البنيان وأسّستُ قواعد العمران فمن يجئ بعدي ويزيد على هذا البناء ويرفعه إلى سابعة السماء إن شاء الله تعالى" انتهى[60]. وكلمة انتهى تدل على انتهاء الكلام المأخوذ من كلام أزاد وهي خير دليل على أمانة الأمير.

ومن منهجه في النقل أنه يحذفُ الأسانيد أو يختصرها بالاكتفاء بذكر آخر رَاوٍ فيها، ويحذفُ القصص وشروح الأبيات التي لم ير الحاجة لذكرها، ويكتفي بإيراد بيْتٍ أو بيتين لتوضيح الفكرة والاستشهاد؛ وينتقي الصّفوة والزّبدة في كلّ موضوع، ويتنجنّب الإطالة والإكثار.

ومن أمثلة حذفه لشرح الأبيات ما ذكره في مبحث "التقسيم باعتبار السنّ" فذكر من أقسام المرأة الكاعب "غير المتزيّنة" واستشهد لها بقول أزاد:

تُنَفِّرُ عَنْ تَزْيِينِهَا غَادَةُ النَّقَا*وتَزْعُمْ أنّ الحِلِيَ مَا فِيهِ طَائِلُ

تَخَيَّلَتِ الحِنّاءَ لما أَتَوْا بِهِ* دُوَيْهِيّةً تَصْفَرّ مِنْهَا الأَنَامِلُ

فقد ذكر البيتين دون إيراد شرح لهما[61] مع أنّهما مَشْرُوحَانِ في "سبحة المرجان" بما يأتي:

"المصراع الأخير مضمّن من بيت لبيد وصدره: "وكلّ أناسٍ سوف تدخل بينهم" والدويهيّة تصغير داهية، وهوهُنا للتعظيم لأنّ المراد فيها الموت وهو أعظم الدواهي وإنّما قال: تصفرّ منها الأنامل بطريان الصّفرة على أنامل الميت بعد الموت[62].

---

[57] نشوة السكران، ص:١٣١.

[58] نشوة السكران، ص: ٣٩.

[59] نشوة السكران، ص: ١٤٨.

[60] نشوة السكران، ص: ١٤٩.

[61] نشوة السكران، ص: ٨٧.

[62] سبحة المرجان، ج: ٢ ص:٣٥٣.

شَوَاهِدُ الكِتَاب:

أولًا: القرآنُ الكَرِيمُ:

استشهد الأمير بالآيات القرآنية الكريمة في كثير من المواضع دون أن يكون الشاهد موجودًا في المصدر الأصلي للكتاب.

ومن أمثلة ذلك ما لخّصه من كلام أزاد في أقسام العشاق[63] فذكر من بينهم المستفرد، وهو الذي لا ينكح إلا زوجة واحدة ولا يلتفت إلا إليها وأشار إلى أنّ هذا الوصف محمود عند الأهاند للاكتفاء على أيسر شيء من الحظ النفساني، أما صاحب الشبق فهو بالخيار يتزوج النساء إلى حد يشاء[64] وهنا انتهى كلام أزاد، ولكنّ الأمير حدّد عدد النّساء المسموح بالزواج منهنّ في وقت واحد، فاستشهد بقوله تعالى: "فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا"[65].

ثانيًا: الحَدِيثُ الشّرِيفُ:

أوردَ الأميرُ في الكتاب عددًا من الأحاديث النّبوية ولكنّه ذكرها تبعًا للكتب التي استمدّ منها مادة الكتاب، ويبدو أنّ معظم الأحاديث التي استشهد بها، موجودة في تلك المصادر.

ثالثًا: الآثار:

استشهد الأمير في "نشوة السكران" ببعض الآثار دون ذِكر السّند، ومن ذلك ما ذكره في شرح قوله تعالى":إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً *فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا *عُرُبًا أَتْرَابًا *لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ" [66].

فقال: العُرُب جمع عروب وهي: المتحببة إلى زوجها، الحسنة التبعلّ... إلى أن قال: وقال ابن عباس: "عواشق لأزواجهن، وأزواجهن لهنّ عاشقون"[67].

رابعًا: الأشْعَار:

---

(63) نشوة السكران، ص: ١٠٧.

(64) سبحة المرجان، ج: ٢ ص:٤١٢.

(65) النساء: ٣

(66) الواقعة:٣٥-٣٨.

(67) نشوة السكران، ص: ٧١، وانظر أثر ابن عباس رضي الله عنهما في: تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق، سامي بن محمد بركة، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ج ٧ ص: ٥٣٣.

استشهد الأمير في كتابه بعددٍ كبير من أبيات الشعراء، كما استشهد بقصائده، ومنها قوله:

للَّه غانيةٌ في مُهْجَتِيْ نزَلَتْ*مالتْ إلى الوَصْل شوْقًا ثُمَّ مَا وَصَلَتْ

طحَتْ بِقلْبِيْ وضَامَتْنِيْ بِلاَ سَبَبٍ* يَا أيّهَا القَوْمُ قُوْلُوْا كَيْفَ مَا فَعَلَتْ[68]

ثالثا: قِيمةُ كِتَاب نشوة السكران:

تتّضحُ القيمة الأدبية لكتاب من:

ا- أنَّ الأمير لخّص فيه المادة المتعلقة بالعشق والحبّ من ثلاثة مصادر مهمّة، وأورد فيه ما لذّ وطابَ من الشعر الجميل، والحكاية الطريفة، والخبر النادر، بأسلوبٍ أدبي ميسّرٍ، وعبارة سهلة شيّقة، واختصارٍ مناسب غير مخلّ، يدرّ على القارئ دررًا وفوائد، ويغذي عقله علمًا وأدبًا، "واختيار الكلام أصعبُ من تأليفه، وقد قالوا: اختيار الرجل وافِدُ عَقله"[69]

ب- استشهد فيه بعدد كبير من الأبيات الشعرية العربية التي تبلغ إلى حوالي ٦٥٢ بيتٍ من الشعر، وإيراده لقصيدتين من قصائده التي صرّح بنسبتهما إليه، وبذلك أصبح الكتاب واحة شعرية ودرّة من درر الأدب ونفائسه[70].

نموذج لنثر الأمير في الكتاب:

يقولُ الأمير في مقدمة كتابه:

"نحمدُ من زيّنَ رياضَ الوُجوهِ بنرْجسِ اللّحاظ ووَرْدِ الخُدود، وأثْمَرَ أغْصَانَ القُدودِ برمّان النُّهود، حَمْدَ مَنْ خَافَ مقَامَ رَبّهِ ونَهى النّفس عن الهوى، وسيّب بذكر مَحْبُوبه إنْ كانَ تِهاميًّا، في حجازٍ أو شامِيًّا في نوى، ونصلّي ونسلّم على مَنْ حَثّ على تهذيب النفس، عن الرذائل الدّنيّة، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين يحبُّهم ويحبُّونه، ويقفون عند ما أمرَهُم ولا يتعدُّونه ما ذرّ شارقٌ وهامَ عاشق"[71].

وبإلقاء نظرةٍ على هذه القطعة نستنتج ما يلي:

---

[68] نشوة السكران، ص: ١٥٩ . ١٦٠.

[69] العقد الفريد، احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق د.مفيد محمد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ج ١ ص: ٤.

[70] نشوة السكران، ص: ٧٩ و١٥٩.

[71] نشوة السكران، ص: ٣٥.

ا- أنّ الأمير ينتقي من الألفاظ أحلاها، ومن التعبيرات أجملها، ومن الكلمات أنسبها بالمقام، وحيثُ إنّ موضوع كتابه: العشق والعشيقات وما يتّصلُ بهما، نراه يستخدم كلمات: الوجه، واللحظ، والخَدّ، والقدّ، والنّهد، في هذه القطعة، وهي أول ما يجلب نظر الإنسان، ويجذبه إلى المحبوب.

ب-ويذكر كذلك كلمات: الرياض، والنرجس، والورد، وهي مما يبثّ في العاشق روح التفاؤل، ويُوقظ خياله، ويُنمّي فكره، ويثير شجونه، ويحرّك عواطفه بالذكريات والآمال، ويذكّره بجمال المحبوب، وطيب أنفاسه.

ج-ويشيرُ كذلك إلى الوقوف عند حدود الشرع بمنع النفس عن الهوى الذي يسبّب المعاصي والفسوق، لكنّه لا يمانعُ عن ذكر المحبوب إذا روعي فيه الحُدود.

د-وفي القطعة حثٌّ على مكارم الأخلاق، والعَفَاف، والطُّهْر، ودعوةٌ إلى اجتناب رذائل الأخلاق، وسفاسف الأمور، وكأنّ الأمير يريد نصيحة من ابتلي بالعشق الوقوف عند حدود الشرع فيه.

مآخذ على كتاب نشوة السكران:

لا يخلو الجهد البشري في مجال التأليف والتصنيف من شيء يُؤخذ عليه، أو وَهمٍ يصدر من صاحبه، وأثناء دراستي لكتاب "نشوة السكران" بدتْ لي بعض الملاحظات والمآخذ عليه – والتي لاتقللّ من شأن الكتاب-وهي:

أولًا: إنّ ترتيبَ الكتاب من ناحية فصوله ومباحثه لايرتقى إلى مكانة الأمير في التأليف والإبداع، حيث إنّ الأمير رتّبه على مقدمة، وأوردَ بعدها تسعة مباحث، ثم أوردَ الفصل الأول، مشتملًا على مبحثين، ثم أتى بالفصل الثاني، فالخاتمة، وكانَ الأنسب تقسيم الكتاب إلى فصول حسب الموضوعات، ومراعاة توزيع المباحث بشكلٍ متساوٍ، لكنّني لاحظت أن الأمير سلك نفس الترتيب في كتاب الحطة في ذكر الصحاح الستة كذلك [72]

[72] يشتمل كتاب الحطة في ذكر الصحاح الستة على مقدمة، وفصلين، وخمسة أبواب، وخاتمة، انظر: الحطة بذكر الصحاح الستة، الأمير صديق حسن خان، الناشر: إسلامي أكاديمي لاهور باكستان، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، ص: ٢-٣.

ثانيًا: كثيرًا ما ذكر الأمير أنه يكره التكرار والإعادة[73] معللًا أنّ النّفس البشريةَ تسأم منه غالبًا، ومع ذلك نراه يعيد تكرار بعض الأبيات، ومنها قول الشاعر:

فَسَأَلْتُهَا بِإِشَارَةٍ عَنْ حَالِهَا*وعَلَيَّ فِيهَا لِلْوُشَاةِ عُيُونُ

فتَنَفَّسَتْ صَعَدًا وقَالَتْ مَا الهوَى*إلاّ الهَوَانُ وزَالَ عَنْهُ النُّونُ[74]

فاستشهد بهما مرّة في مجال أن الهوى هوانٌ، ومرة ثانية في القسم الثالث من أقسام المرأة باعتبار السِّن وهي الكبيرة؛ أي: الشابة التي تتجاوز عن حدّ المتوسطة ويغلبُ عشقها الحياء[75].

ولاشك أن إقبال الأمير صديق حسن خان، وهو أحد علماء الدين المعروفين على موضوعات العِشق والعُشاق بجانب مؤلفاته الدينية العديدة، استطرادٌ كاستطرادات الجاحظ لرفع السأم عن النفس البشرية من جانب، وتجديدٌ في موضوعاتِ الأدَبِ العَربي بشبه القارة الهندية من جانب آخر؛ حيث كان الكثيرون يتورّعون عن تناول هذه الأمور باللغة العربية التي نزَل بها القرآن الكريم.

* * *

ثالثا: خصائص ومميزات نثر الأمير صديق حسن خان

كانت إمارةُ بهوبال تتميّز في أواخر القرن الثالث عشر وبدايات القرن الرابع عشر الهجريين، بحركةٍ أدبية واسعة النّطاق في ميادين الشّعر والنثر؛ إذ برز فيها شعراء تطرّقوا لأغراض الشعر المختلفة، كما ظهر بجانبهم عددٌ من الكُتّاب البارعين في كتابة النثر، تَوّجوا عديدًا من الموضوعات العلميّة وأبرزوا المعاني الجميلة في روائع نثرهم وكتاباتهم، وكانت المواهب الأدبية للأمير قد وصلت إلى أوجها واشتهرت وسط ذلك المجتمع الأدبي، فكانَ أحد السابقين إلى ميدان الأدب، والبارعين فيه، فلاغَرْوَ أن تجد للغته شاعريتها ولذّتها، ولنثره حلاوته وبهاءه، وتأثيره في تهذيب النفوس، ورسم الأثر وتهييج العواطف.

وقد وَصَلَ إلينا نثرُ الأمير مكتمل النّمو والأوضاع من خلال آثاره ومؤلفاته التي نجدُ فيها عرضًا لآرائه في الأدب، ونماذج جيدة من نثره العربي، تتلخّص مميزاته وسماته فيما يلي:

١ ـ الاستشهاد بالشعر:

---

[73] نشوة السكران، ص: ١٠٥ و ١٣١.

[74] نشوة السكران، ص: ٥٤.

[75] نشوة السكران، ص: ٨٩.

أول ما يُلاحظه الناظر في النثر الفنّي لدى الأمير كثرة الاستشهاد بالشعر فتقرأ الشعر في نثره، وتنتقل بين النثر والشعر في فقرة واحدة، كما في كتابه "غصن البان المورق بمحسنات البيان"؛ إذ قلّما تجد فقرة من الفقرات إلا وتكون متضمنة لبيت أو بيتين فأكثر من الشعر على نحو ما نراه في قوله:

التفضيل على التفضيل (ونوع من الأنواع البديعية التي تفرّد بها الأهَانِدُ عن العرب) أن يفضّل المتكلمُ شيئًا على شيء ثمّ يفضّل على المفَضّلِ شيئًا آخر وهلُمّ جرّا كقول المتنبي[76].

بَعْضُ البَرِيّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا* فإذَا حَضَرْتَ فَكُلُّ فَوْقٍ دُون[77]

وقد يتجاوزُ ذلك إلى ثلاثة أبيات فأكثر، فمثلا عرّف "المزاح" (وهو أحد الأنواع البديعية عند الأهاند) من أنّه انبساطٌ مع الغير من غير إيذاءٍ له، وأنّ أحسَنَهُ ما يكون خاليًا عن الفحش، و أنّ العرب لم يفردوه نوعًا برأسه ولا أدخلوه في سلك الأنواع البديعية، وتمثّل للمزاح الذي يكون ظاهره الجدّ وباطنه الهزل بقول جميل بن معمر العذري[78].

وَخَرَجْتُ مُخْتِفيًا أُلِمُّ بِبَيْتِهَا* حَتّى وَلَجْتُ إلَى خَفِيّ المَوْلِجِ

قَالَتْ: وَرَأْسِ أَبِي وَأَكْبَرِ إخْوَتِي* لأنبّهَنّ القَوْمَ إنْ لَمْ تَخْرُجِ

فَخَرَجْتُ خِيفَةَ أَهْلِهَا فَتَبَسَّمَتْ* فَعَلِمْتُ أَنّ يَمِينَهَا لَمْ تَلْحَجِ[79].

---

(76) غصن البان المورق بمحسنات البيان، للأمير صديق حسن خان، من المطبعة الشاه جهانية، في هوبال، ١٢٩٤هـ، ص١٩ . ٢٠، والمتنبي هو: أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ، وقدم إلى الشام فنال حظه من علوم اللغة والأدب ومهر فيها بحيث لا يسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب المنظوم أو المنثور، ، توفي سنة ٣٥٤هـ، انظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، الناشر: دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، ص٢٠١ . ٢٠٦، وكذا: أبجد العلوم، ج٣ ص٧٣ . ٧٤.

(77) المعنى: إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها بعضًا، فإذا حضرت بينهم استووا كلهم في التقصير عنك، وصار أشرفهم وأعلاهم دونك. انظر: شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، الناشر: دار الكتاب العربي، د.ت، ج٤ ص٣٤٠.

(78) غصن البان، ص: ٤٩.، وجميل هو: هو: جميل بن عبد الله بن معمر العذري من عشاق العرب، اشتهر بحبه لابنة قومه بثينة، فتناقل الناس أخبارهما، ولقي العنت فلجأ إلى مصر ومات بها سنة ٨٢هـ، انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، الناشر: دار صادر، بيروت، ١٩٠٢م، ص٢٦٠ . ٢٦٨.

(79) انظر: ديوان جميل، شاعر الحب العذري، جمع وتحقيق: د. حسين نصار، الناشر: مكتبة مصر، ١٩٧٩م، ص٤١ . ٤٢، ووردت الأبيات في الديوان بتغير يسير وأولها:

مَا زِلْتُ أَبْغِي الحَيّ أَتْبَعُ فَلّهُمْ* حَتّى دَفَعْتُ إِلَى رَبِيْبَةِ هَوْدَجِ

وهكذا نراهُ يضمّن نثره بشيء كثير من الشعر دُون تكلّفٍ أو عناءٍ فيضيف الشّعرُ على النثير جمالا وقوّة، وهذا يدلُّ على موهبة الأمير الأدبية وقوة حفظه وذخيرته الشعرية،وذوقه الرفيع، وقريحته الفياضة.

٢ ـ الاقتباس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية:

ذكرنا أنّ ثقافة الأمير نابعة من الثقافة الإسلامية، ولذا يكثرالاقباس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في كتاباته الأدبية، فمثلا يذكر أنواع بديع أهل الهند المنقولة إلى اللغة العربية، ويستشهد لها من القرآن الكريم والحديث الشريف، كتعريفه لصرف الخزانة: من أنّها أن "يراد باللفظ المشترك معانٍ متعدّدة ويُصرف كلّ واحد منها إلى ما يستحقّه" كلفظ الصلاة في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"[80] فالصلاةُ من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ويستدلّ بقول أزاد:

لقَدْ لقيَتْ فِي الأبرقَيْنِ مُؤَمِّلًا* هُنَاكَ مُحَيّاهَا وَعَيْنِيْ تَهَلَّلاَ[81].

فنراه يستشهد بالآية القرآنية قبل على الاستشهاد بالشعر وهذا نابع من ثقافته الدينية الواسعة.

ومن أمثلة هذا القبيل قوله: "التسوية: هو أن يحسب المتكلم المتضادين في مرتبة واحدة، لا يرجح أحدهما على الآخر كقوله تعالى:"اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ"[82] وقوله تعالى: "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ"[83]

فَدَنَوْتُ مُخْتَفِيًا أَلُمُّ بِبَيْتِهَا* حَتّى وَلَجْتُ إِلَى خَفِيّ المَوْلِجِ

قَالَتْ وَعَيْشِ أَخِيْ وَنِعْمَةِ وَالِدِيْ* لأنبّهَنّ القَوْمَ إِنْ لَمْ تَخْرُجِ

فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبسّمَتْ* فَعَلِمْتُ أنّ يَمِيْنَهَا لَمْ تَخْرُجِ

إلى آخر الأبيات. انظر: ديوان جميل، ص٤١ ـ ٤٢.

(80) الأحزاب: ٥٦.

(81) غصن البان، ص: ٢٠-٢١.، ومعنى تهلّلَ الوجْهُ: تلألأ من الفرح، والعينُ سَالتْ بالدّمع، والمعنى: أنه لما لقي المحبوبة بعد حمة الفراق تلألأ وجهها فرحة، وسال دمع العاشق رقة.

(82) التوبة: ٨٠.

(83) البقرة: ٦.

وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: "أنْصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا"، قال رجل كيف أنصره ظالمًا؟ قال صلّى الله عليه وسلّم: "تمنعه عن الظلم"[84].

وقول ابن الفارض[85]:

قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنّكَ مُتْلِفِي * رُوْحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أمْ لَمْ تَعْرِفِ[86]

وهناك أمثلة كثيرة لتقديمه الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية على الاستشهاد بالأشعار، وهذا يرجع إلى عنايته الشديدة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تكوّنت منها ثقافته، فأبرزت مواهبه وشخصيته؛ لأنّ هذه العناية تمثّل ذوق الأمير وميله وثقافته الدينية.

٣ ـ المحسّنات البديعيّة:

من السِّمات البارزة التي يمتاز بها نثرُ الأمير شموله على المحَسَّنَات البَديعيّة كالسّجْع والجِناس والطّباق، وخاصة في مقدمات كتبه من دون تكلّف ولاعناء، ويمتازُ أسلوبه في ذلك بالازدواج والتوازن الذي يُضفي على النثر لونًا من الموسيقى ويجعلُ كلماته وجمله متناسقة تطربُ لها الآذان.

والازدواج أن يراعي الوزن في جميع كلمات الجملتين أو في أكثرها، وقد اهتم به الأدباء القدماء، فيقول أبو هلال العسكري: "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلُو حتى يكون مزدوجًا، ولا نكادُ نجد لبليغٍ كلامًا يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن لأنّه في نظمه خارج عن كلام الخلق وقد كَثُر الازدواج فيه"[87] وأمامك نصوص من نثر الأمير تشتمل على

---

(84) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه بلفظ: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: تأخذ فوق يديه" ، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة، د.ت.، ج٥ ص٩٨، وانظر: مسند الإمام أحمد، وبهامشه منتخب كنز العمال، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، ج٣ ص٩٩.

(85)هو: عمر بن علي بن مرشد الحمودي، ولد سنة ٥٧٦هـ بمصر، وزار مكة، ونظم شعرًا رقيقًا في ديوان، توفي سنة ٦٣٢هـ، انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي وفتحية علي البجاوي، الناشر: دار الفكر، د.ت، ج: ٤، ص١٣٤ ـ ١٣٥. وكذا: الأعلام ج٥ ص٥٥ ـ ٥٦.

(86)غصن البان، ص: ٥٢، وانظر: ديوان ابن الفارض، تعليق: عبد الرحمن محمد، الناشر: عبد الرحمن محمد، جامع الأزهر بمصر، ١٣٥٣هـ، ص٧٩.

(87) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، بتحقيق: د. مفيد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ٢٨٥.

المحسنات البديعية والازدواج في وقت واحد فيقول معللًا تأليف أحد كتبه الدينية: "فعسى أن ينتهوا عن بعض الذنوب، وينتبهوا عن سِنَة الغفلة وتلينُ منهم قاسياتِ القلوب، ويغتنموا المهلة قبل الوهلة، كيفَ لا والدنيا قد ولّت جدًّا وآذنت بالانصرامِ ومرّت بأهلها مرّ السحاب وهم نيام"[88].

فالسجع في النص السابق يمتاز بتناسب الفقرات وسهولة الألفاظ وعدم التكلف، والألفاظُ تحمل جرسًا موسيقيًّا للتجانس بين "ينتهوا وينتبهوا، وبين الذنوب والقلوب، والانصرام ونيام". ويقول في مقدّمة كتابه أبجد العلوم: "الحمد لله الذي جعل العلم سُلَّمًا إلى معارج المعلوم، والمعلوم فضلًا مُسَلّمًا عند عصابة المنطوق والمفهوم، وسرّحَ أبصار البصائر في رياض الفُنون والمعارف، رياضٌ زهت فيها أزهار المعاني والبيان، فتفَتّحت بنسائمها أنوار الفضل التالد والطارف، فاجتنت منها أيدي المنى فواكه القلوب وأقوات الأرواح، واقتطفت منها جنى الحقائق والدقائق من بين أقاحي الصباح، فهُوَ قُوتُ الفؤاد ومراح الأشباح، وروح جثمان الكمال، وحادي النفوس إلى بلاد الأفراح"[89].

فترى السجع في النصوص السابقة مع تناغم الفقرات والجمل، وإحكام الصنعة وسهولة الألفاظ، وانسجام الحروف وحلاوة جرسها بشكل يضيف الموسيقى إلى الأسلوب، وتجد الجناس في قوله: "سرّح أبصار البصائر" وقوله: "رياض زهت أزهار المعاني والبيان" وبين "المهلة والوهلة" وتجد الطباق في قوله: "فتفتحت بنسائمها أنوار فضلها الطارق والتالد".

والناظر في النصّ السابق يرى أن الأمير لم يتكلف في السجع، بل السجع نبع من ملكته الثرية التي كانت تسعفه في مطلوبه من غير مشقّة ومعاناة، ومن المعروف "أن الكلام إذا خرج في غير تكلّف وشدّة تفكّر وتَعَمُّلٍ كانَ سلسًا سهلًا، وكان له ماء ورُوَاء، ورَقرَاقٌ، وعليه فرند لا يكون على غيره ممّا عسر بروزه واستكره خروجه"[90] ونُشَاهِدُ أنّ الأمير يميل إلى قصر الفقرات والجُمَلِ غالبًا مع تمكُّنه من ناصية الكلام وبلاغة المعاني، ويميلُ حينًا إلى الترادف والاسترسال

---

(88) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، الأمير صديق حسن خان، بتقديم وتحشية إبراهيم يحي أحمد الناشر: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦هـ. ص: ٩.

(89) أبجد العلوم، ج١ ص٣

(90) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال الحسن العسكري، ص١٨٧ . ١٨٨. والفرند: وشي السيف.

بشكل غير مملّ،إذ الإطناب في غير محلّه؛ "يُفْضِي بالناظر الناقد البصير إلى السآمة والملالة"[91].

٤ ـ امتزاج النثر بالشعر:

من خصائص نثر الأمير أنه كان كثيرًا ما يمزجه بالنظم، وهو ما يسمّى بمصطلح (التّناص) عند أكثر النقاد، بمعنى دُخول النّصوص بعضها في بعض، ونجدُ مثالًا لذلك في إيراده لعدد من قصائده أثناء رسائله، فصدّر بعض الرسائل بأشعاره[92] أو بدأها منثورة ثمّ زيّنها بمقتطفات من أشعاره، ومن هذا القبيل رسالته الجوابية إلى الشاعر القاضي طلا محمد البشاوري[93] حيث بدأها مسترسلًا ثم تمثّل فيها بقول ابن الشحنة إلى نائب دمشق ولم يكن رآه:

قَسَمًا بِلِينِ مَعَاطِفِ الأَغْصَانِ* وغِنَا الحَمَامِ عَلَى غُصُونِ الْبَانِ

وتَمَايُلِ الدَّوْحِ المرنّح بِالصّبا* سَحَرًا ونَفْحَةِ رَوْضَةِ الرّيَانِ

مَا مَرَّ حُلْوُ حَدِيثِكُمْ فِي مَسْمَعِي* إلاّ وأَثْمَرَ حُبَّكُمْ بِجَنَانِي

فأنَا المحِبُّ عَلَى السَّمَاعِ وَقَبْلَ مَا* تَهْوَى الْعُيُونُ عَشِقتُ بِالآذَانِ

نَشْوَانُ مِنْ طِيبِ السَّمَاعِ وَطَالَمَا* فَاقَ السَّماعَ فكانَ فَوْقَ عِيَانِي[94]

والرِّسَالةُ عبارة عن أربع صفحات كاملة أوّلها مدحٌ للشاعر طلا محمد وإظهار الاشتياق لرؤيته، وإهداء التحيات إليه حيث يعبّر الأمير عن هذا المعنى بقوله:

يهْدِي المحِبّ إلى حِمَاك تَحيّةً* كالرّوْضِ بَاكرَه الغُمَامُ المُمْطِرُ

---

[91] التاج المكلل، ص٨.

[92] انظر رسالة الأمير في: العلَم الخفاق من علم الاشتقاق، الأمير صديق حسن خان ، الناشر: المطبع الشاهجهاني، بهوبال، ١٢٩٤هـ، ص: ٩٦ ـ ٩٧، إلى الشيخ أحمد الشرقي المصدرة بالأبيات التالية:

أتَانَا كِتَابٌ مِنْكَ عِنْدَ وُرُودِهِ*أضاءَتْ لَهُ الدُّنْيَا وزَالَتْ همُومُهَا

شَمَمْتُ عَبِيْرَ المِسْكِ فِي طَيِّ نَشْرِهِ*فَأَوْجَبْتُ أيامًا عليَّ أَصُومُهَا

[93] هو: طلا محمد بن محمد أكبر بن محمد، ولد بمدينة بشاور سنة ١٢٢٧هـ، وأصل آبائه من قرية أفغانية في الجنوب الشرقي لمدينة قندهار ثم انحدرت أسرته إلى شبه القارة فاستوطنت في شمال بشاور، وكان على صلة بالأمير صديق حسن خان، تولى منصب ديوان الإنشاء بمدينة كلكته، وزار الحجاز، وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٣١٠هـ، انظر: ديوان القاضي طلا محمد البشاوري، بتحقيق وتقديم: الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر، الناشر: المجمع العربي الباكستاني لاهور، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ، ص١٦ ـ ١٨.

[94] العلَم الخفاق، ص:٨٩، وانظر الأبيات في: روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، محب الدين أبوالوليد محمد بن محمد أبي الشحنة، تحقيق سيد محمد مهنّى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص: ٣٢١

حَمّلْتُهَا رِيحَ الصّبَا فتَضَوَّعَتْ* بأريجِهَا الأرْجَاء إذ هِيَ تَنْشُر

ثم الثناء على رسالته، وعذوبة ألفاظها وحلاوة معانيها التي "هي كاليتيمة العصماء غالية، وكالشمس البازغة ضاحية"(95).

ويذكر فضل صاحبها بهذا البيت:

أوْصَافُنَا لَمْ تَزِدهُ معرفة* وإنّمَا لَذّةً ذَكَرْنَاهَا

وهكذا يمزج الأمير منثور الكلام بمنظومه ليس في رسائله فحسب، بل في مؤلفاته بشكل عام، مما يمثّل سعة إحاطة الأمير بالتراث الشعري والنثري معًا.

ونرجو بعون الله الواحد الأحد أننا وُفقنا من خلال ما سبق إلى تحديد معالم نثر الأمير باللغة العربية وتحديد سماته وبيان شيء من خصائصه.

مزاعم حول أسلوب الأمير في النّثر:

وقد زعم البعض أنّ النّثر العربي في شبه القارة الهندية لا يمكن إخضاعه لأدوار وحقب؛حيث إنّ الأدباء لم يلتزموا أسلوبا معيّنا في كتبهم ومصنفاتهم بل الموضوع فرَضَ نفسه عليهم، فمثلا "إنّ النواب صديق حسن على كثرة مصنّفاته، لم يلتزم بأسلوب بعينه، وإنّما تغيّر نمط كتابته وفق موضوع الكتاب"(96).

واستدلّ لصحّة دعواه بإيراد مثالين من نثر الأمير في كتابين من كُتبه، فأوردَ نصًّا من كتاب "البلغة في أصول اللغة" ونصّا آخر من كتاب "نشوة السكران" بهدف المقارنة بينهما في الأسلوب وإثبات ما ذهبَ إليه أنّ الموضوع يفرضُ نفسه على الكاتب، وقال مستنتجًا: "بل يتغيّرُ أسلوبُ النّاثر في الكتاب الواحد عدّةَ مرّاتٍ فلا تقف له على معالم تحدِّدُ شكلًا معينًا يميّزه عنْ غيره من الكتّاب والأدباء"(97).

وأعودُ فأقول: إنّ صَاحِبَ القول السابق لم يوفّق في المقارنة بين النّصين وبالتالي في استنتاجه؛ ذلك لأن كتاب (البُلغة في أصول اللغة) كتاب علمي يتحدّث عن علم اللغة، وليس كتاب نثر أدبي ككتاب (نشوة السكران) الذي غلبت عليه المادة الأدبية، وهناك فرقٌ كبيرٌ بين

---

(95) العلَم الخفاق، ص: ٨٧.

(96) الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، د. أحمد إدريس، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص: ٨٠.

(97) المرجع السابق، ص: ٨١

الأسلوب العلمي و الأدبي، "إذ الأسلوبُ العلمي هادئ بعيد عن الخيال والانفعال، يناجي العقل ويشرح الحقائق، لذلك كان الوضوح أظهر ميزاته، وهو يكاد يخلو من المحسنات إلا ما أتى عَفْوَ الخَاطِر، أو قصد به تقريب الحقائق إلى الإفهام وتوضيحها كاستعمال التشبيه. بينما نرى الأسلوب الأدبي يمتاز بما فيه من خيال وتصوير وتلمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء وتجسيم وتشخيص، لذا كان الجمال أبرز صفاته"[98]. وبينهما فرق في المصدر والغاية والوسيلة[99]. فلا يصحّ مطالبة الأمير بالتزام أسلوبٍ معين في كافة مصنّفاته، خاصة وقد ألّف وصنّف في معظم العلوم والفنون التي تتطلب أساليب خاصة، مع أن أسلوبه في كتبه العلمية لا يقلّ رصانة عن كتبه الأدبية، وإن كان الأسلوب العلمي لا يعدّ معرضًا قويًّا لظهور الشخصية لدى النقاد كما هو الشأن في الأسلوب الأدبي[100].

أما أسلوبه في كتابة النثر الأدبي فهو واضح تمامًا وله خصائصه وسماته ومميزاته أشرت إليها في الصفحات السابقة.

إطلاق النثر من القيود:

لقد كان الأمير أحد المبدعين في النثر العربي بشبه القارة الهندية، لبراعته وتمكّنه واتساع المعجم العربي لديه، وكذلك بتناوله لبعض الموضوعات الطريفة على المجتمع؛ إذ كان الأدب العربي في هذه القارة خاليًا عن الطرائف الموجودة باللغات السائدة التي تناولت آدابها قصص الحكماء وفكاهات المجالس ومناظرات الشعراء وغيرهم.

ولم يكن الأدب العربي يتجرأ بتناولها لنشأته ونموّه في أحضان المدارس الدينية التي كانت تنظر إلى اللغة العربية نظرة قداسة، فما كان لأدبائها أن يكتبوا بلغة القرآن شيئًا يتسامرون به أو يتلاطفون به فيما بينهم، الأمر الذي قيّدَ أُفق الأدب العربي في شبه القارة.

---

(98) ابن زمرك الغرناطي سيرته وأدبه، د. أحمد سليم الحمصي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص١٩٦ - ١٩٧. وكذا: البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة عشرة، ١٣٨١هـ، ص١٢.

(99) الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب العربية ، د. أحمد الشايب، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨م، ص٥٦ - ٦١.

(100) المرجع السابق، ص: ١٥٤.

فأبدع الأمير موضوعًا طريفًا في موضوعاته، فتَحدّث في كتابه " نشوة السكران" عن العشق، والحسن، والغزلان، والنسوان، ويتعلق بها، كقوله"ومن المحبين الملوك: وهم أحسن الناس طباعًا، وأطولهم باعًا، وأطيبهم عيشًا وأكثرهم طيشًا، وأرقهم شعرًا، وأدقهم فكرًا، وأقربهم مرجوعًا، وأكثرهم بالحبيب ولوعًا، إذ هم في الحقيقة أولى بذلك، وأحقّهم بالنوم على تلك الأرائك؛ فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كللًا ولحق بالشهداء، ومنهم من أصبح دونهم في العفاف وأقام سالف محبوبه مقام السلاف، ومنهم من خلع العذار فجمع ما بين ذات العقود وابنة العنقود، ولكن مع خيانة ورجوع إلى ديانة، فهو وإن طال به المجلس اختصر وإنْ جفَا فيه على محبوبه اعتذر، ومنهم من نال بالراح اللذة المحظورة، وأخرج بها وجنة الحبيب من صورة إلى صورة؛ فجارى النديم في الجريال، وسما إلى الحبيب سموّ حباب الماء حالًا على حال، فأفضى به ذلك إلى هلكه وفساد ملكه[101].

وهذا الفنّ الذي سجّله الأمير في كتابه كان شائعًا ذائعًا في شبه القارة، وما زال محفوظًا باللغتين الأردية والفارسية خاصة بين الطبقات العليا في المجتمع، لكن أدباء العربية حين اضطروا بحكم الحِسّ الفنّي الذي قد يُشعر بصراعه مع الوازع الديني في سطور الكتاب وأبيات الشعراء، حاولوا دهان هذا الفنّ بلونٍ ديني أيًّا كانَ كي لا يُعاب عليهم أنّهم تكلّموا فيه بالعَربية ونجَّسُوْا لغة القرآن"[102]ا فكانَ الأمير مُبْدعًا في هذا المجال حيث فتحَ أمام الأدباء بشبه القارة الهندية آفاقًا جديدة للنثر العربي، وأطلقه من القيود والأغلال التي أحكمت عُنقه، ولم يتركه ليطرق موضوعًا كهذا قبله.

* * *

الخلاصة:

١ ـ خلّف الأميرُ وراءه عددًا من المؤلفات والآثار الأدبية النثرية، ومنها كتابه "نشوة السكران من تذكار الغزلان" الذي يشتملُ على مادةٍ أدبيّة آسرة للقلب، تتعلّق بالعشق والغرام، ويتلخّصُ مصادر الكتاب الأساسية في ثلاثة كتب، هي: ديوان الصبابة، وتزيين الأسواق من مصارع العشاق، وسُبحة المرجان في آثار هندوستان.

---

(101) نشوة السكران، ص: ٦٥-٦٦.

(102) الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، ص: ١٨٦.

٢ ـ تتبلور شخصية الأمير في كتاب "نشوة السكران" كأديبٍ وشاعر وناقد؛ إذ لا يكتفي بالجمع والاختصار، بل ينتقي ويختار بعناية تامّة، ويحلّل وينقد، ويذكر آراءه الأدبية واختياراته النقدية، ومنها:

أنّ الحلاوة التي تحصلُ للأذواق من الأشعار المشتملة على أقسام النّسوان في لسان الهند لا تحصلُ في لسان العرب، وسببها خصوصية اللسان الهندي، وخصوبة معانيها في مجال النّسوان.

٣ ـ يحيل الأمير إلى المصادر في كتابه، أداءً للأمانة العلمية، ويحذف الأسانيد أويختصرها اكتفاءً بذكر آخر رَاوٍ فيها، كما أنه يكثر الاقتباس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والشواهد الشعرية.

٤ ـ تظهر القيمة الأدبية لكتاب نشوة السكران، من أنّ الأمير جمعَ فيه باختصارٍ المادة المتعلقة بالعشق والهيام من ثلاثة مصادر مهمّة، وأورَد فيه كلّ ما لذّ وطاب من الشعر الجميل، والحكاية الطريفة، والخبر النادر، بأسلوبٍ أدبي رائع، وعبارة سهلة شيّقة، واختصارٍ مناسب غير مخلّ.

٥ ـ نثر الأمير بالعربية وصل إلينا مكتمل النّمو والأوضاع من خلال كُتبه ومؤلفاته، التي نجد فيها عرضًا لآرائه في الأدب، ونماذج جيدة من نثره، تتلخص سماته فيما يلي:

أ ـ الاستشهاد الشعري: حيث يستشهد بالأبيات الشعرية لدرجة تداخل الشعر والنثر مع بعض، كما في كتابه "غصن البان المورق بمحسنات البيان" حيث لا تجد فقرة من فقراته إلا وتكون مزّينة ببيت أو بيتين فأكثر من الشعر.

ب ـ الاقتباس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، استنادا إلى ثقافته الإسلامية الواسعة.

ج ـ شموله على المحسّنات البديعية من السجع والجناس والطباق، حيث يأتي بها من غير تكلّف ولاعناء، ويتميزُ أسلوبه في النثر بالازدواج والتوازن الذي يضفي على النثر لونًا من الموسيقى، ويجعل كلماته وجمله متناسقة تطرب لها الآذان.

د ـ امتزاج النثر بالشعر حيث يمزج الأمير نثره بنظمه أثناءَ رسائله غالبا، فيصدَّرها بأشعاره، أو يبدأها منثورة ثم يزيّنها بمقتطفاتٍ من الأشعار.

٦ ـ زعم مؤلف كتاب(الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين) أن "النواب صديق حسن على كثرة مصنفاته، لم يلتزم بأسلوب بعينه، وإنما تغيّر نمط كتابته وفق موضوع الكتاب" ثم استدلّ لصحة رأيه بإيراده مثالين من نثر الأمير في كتابين من كتبه مختلفين

مضمونا، وهُمَا (البلغة في أصول اللغة) وكتاب (نشوة السكران)" بهدف المقارنة بينهما في الأسلوب، وأقولُ: إنّ المقارنة بين أسلوب الأمير في الكتَابَينِ بحاجةٍ إلى المراجعة من جديد؛ لأنّ كتاب البُلغة في أصول اللغة كتابٌ علمي يتحدّث عن علم اللغة، وليس كتاب نثر أدبي ككتاب نشوة السّكران الذي تغلّبت عليه المادة الأدبيّة، ولا شك أن هناك فرقًا كبيرًا بين أسلوب اللغة العلمية واللغة الأدبية.

٧ ـ استطاعَ الأميرُ أن يفكّ السّلاسل والقيود من النثر العربي في شبه القارة الهندية، بتاوُله لبعض الموضوعات الطريفة كالعشق والغرام؛ إذ لم يكن أحد من الأدباء يتجرّأ بتناولها باللغة العربية؛ لنظرتهم إليها نظرة قداسة، فكانَ الأمير مبدعًا في هذا المجال بتطرّقه لهذه المواضيع، وفتحه آفاقًا جديدة للنثر العربي، وإطلاقه من القيود والأغلال التي أحكمت عنقه.

***

المصادر والمراجع:

-الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، د. أحمد إدريس، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

-الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب العربية ، د. أحمد الشايب، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨م.

-أبجد العلوم، الأمير صديق حسن خان، الناشر: المكتبة القدوسية لاهور باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

-أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، الناشر: دار الجيل، بيروت، د.ت.

-الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، الأمير صديق حسن خان، بتقديم وتحشية إبراهيم يحيى أحمد الناشر: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦هـ.

-الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، ١٩٨٥م.

-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

-التاج المكلل، الأمير صديق حسن خان، الناشر: مكتبة دار السلام الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

-تاريخ آداب اللغة، جرجي زيدان، الناشر: دار مكتبة الحياة، د.ت.

-تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، الناشر: دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور د.ت.

-تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، الشيخ داود الأنطاكي المعروف بالأكمه، الناشر: المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٠٨هـ.

-تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق، سامي بن محمد بركة، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

-جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتب اللبناني، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

-الحطة بذكر الصحاح الستة، الأمير صديق حسن خان، الناشر: إسلامي أكاديمي لاهور باكستان، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

-دائرة المعارف، بطرس البستاني، الناشر: مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٨١م.
-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، بتحقيق: محمد جاد الحق، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ.
-ديوان ابن الفارض، تعليق: عبد الرحمن محمد، الناشر: عبد الرحمن محمد، جامع الأزهر بمصر، ١٣٥٣هـ
-ديوان جميل، شاعر الحب العذري، جمع وتحقيق: د. حسين نصار، الناشر: مكتبة مصر، ١٩٧٩م.
-ديوان الصبابة، أحمد بن أبي حجلة المغربي، طبع على هامش تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق لداود بن عمر الأنطاكي، الناشر: المطبعة الأزهرية المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٠٨هـ.
-ديوان القاضي طلا محمد البشاوري، بتحقيق وتقديم: الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر، الناشر: المجمع العربي الباكستاني لاهور، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ.
-الرسائل المتبادلة بين الشيخين صديق حسن خان وأحمد بن عيسى، سليمان بن صالح الخراشي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، الناشر: دار التوحيد، الرياض.
-روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، محب الدين أبوالوليد محمد بن محمد أبي الشحنة، تحقيق سيد محمد مهنّى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
-البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة عشرة، ١٣٨١هـ.
-سبحةُ المرجان في آثار هندوستان، السيد غلام علي أزاد البلكرامي، تحقيق: الدكتور محمّد فضلُ الرّحمن الندوي، الناشر: معهد الدراسات الإسلامية بجامعة عليكَره الإسلامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.
-شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوني، الناشر: دار الكتاب العربي، د.ت.
-الشعر والشعراء، ابن قتيبة، الناشر: دار صادر، بيروت، ١٩٠٢م.
-طلائع المقدور من مطالع الدهور، أبو النصر سيد علي خان، الناشر: المطبعة الكائنة في بهوبال ١٣٠١هـ.

-العقد الفريد، احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق د.مفيد محمد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

-العلَم الخفاق من علم الاشتقاق، الأمير صديق حسن خان، الناشر: المطبع الشاهجهاني، بهوبال، ١٢٩٤هـ.

-غصن البان المورق بمحسنات البيان، للأمير صديق حسن خان، من المطبعة الشاه جهانية، في هوبال، ١٢٩٤هـ.

-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة، د.ت.

-فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

-قُرّة الأعيان ومسرة الأذهان في مآثر الملك الجليل النواب محمد صديق حسن خان، سليم فارس الشدياق، الناشر: مطبعة الجوائب بقسطنطينية، ١٢٨٩هـ

-كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، بتحقيق: د. مفيد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

-مذكرات رحلة حجّ لأميرة بوبال النواب سكندر بيغم (وثيقة تاريخية مهمة)، د.ثمامة فيصل أبي المكارم، الناشر: شبكة الألوكة، الرياض، ٢٠١٥م.

-مسند الإمام أحمد، وبهامشه منتخب كنز العمال، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

-معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، الناشر: المكتبة العربية بدمشق 1307هـ.

-معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إليان سركيس، الناشر: مطبعة سركيس ١٣٤٦هـ.

-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي وفتحية علي البجاوي، الناشر: دار الفكر، د.ت.

-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغربردي الأتابكي، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٩هـ

-نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

-نشوة السكران من تذكار صهباء الغزلان، الأمير صديق حسن خان، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.ص٣٥.

-نفح الطيب من ذكر المنزل والحبيب، الأمير صديق حسن خان، الناشر: المطبع الشاه جهاني، بهوبال، د.ت.

-الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، الناشر: مطبعة وديع أبو فاضل، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٣٣م

-الهند في العصر الإسلامي، العلامة عبدالحي بن فخر الدين الحسني، الناشر: دار عرفات، الهند، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق: د. إحسان عباس، منشورات الرضي، الطبعة الثانية، ١٣٦٤هـ.